

يسوع المصلوب<sup>(١)</sup>

« كتبت يوم الجمعة الحزينة »

بقلم جبران خليل جبران

اليوم وفي مثل هذا اليوم من كل سنة تستيقظ الانسانية من رقادها العميق وتقف امام اشباح الاجيال ناظرة بعيون مغلقة بالدموع نحو جبل الجلجثة لترى يسوع الناصري معلقاً على خشبة الصليب . . . . وعند ما تهب الشمس عن ما تى النهار تعود الانسانية وتركع مصلياً امام الاصنام المتعصبة على قمة كل راية وفي سفح كل جبل .

اليوم تعود الذكرى ارواح المسيحيين من جميع اقطار العالم الى جوار اورشليم فيقفون هناك صفوفاً صفوفاً قارعين صدورهم ، محدقين بشبح مكمل بالاشوك ، باسط ذراعيه امام اللانهاية ، ناظر من وراء حجاب الموت الى اعماق الحياة . . . . ولكن لا تسدل ستار الليل على مسارح هذا النهار حتى يمود المسيحيون ويضطجعون جماعات جماعات في ظلال النسيان بين لحف الجهالة والخبول .

وفي مثل هذا اليوم من كل سنة يترك الفلاسفة كهوفهم المظلمة والمفكرون صوامعهم الباردة والشعراء اوديتهم احيائية ويقفون جميعهم على جبل عال صامتين متهيئين مصغين الى صوت فتى يقول لقاتليه : « يا ابتاه ، اغفر لهم لانهم لا يدرون ما يفعلون » . . . . ولكن لا تكتنف السكينة اصوات النور حتى يمود الفلاسفة والمفكرون والشعراء ويكفون ارواحهم بصفحات السكتب البالية .

ان النساء المشغولات بهجة الحياة المشغوقات بالحلى والحلل يخرجن اليوم من منازلن ليشاهدن المرأة الحزينة الواقفة امام الصليب وقوف الشجرة اللينة امام عواصف الشتاء ويقتربن منها ليسمن ايديها العميق وتخصنها الاليمة .

اما القتيان والصبايا الراكضون مع تيار الايام الى حيث لا يدرون فيقفون اليوم هنيهة ويلتفتون الى الوراء ليروا الصبية المجدية تغسل بدموعها قطرات الدماء عن

(١) من مجموعة غيسة باسم « العراف » تصدرها قريباً ادارة الهلال

قدمي رجل منتصب بين الارض والسماء . ولكن عندما تملّ عيونهم النظر الى هذا  
المشهد يتحولون مسرعين ضاحكين

في مثل هذا اليوم من كل سنة تستيقظ الانسانية يقظة الربيع وتقف باكية  
لاوجاع الناصري ثم تطبق اجفانها وتنام نوماً عميقاً . اما الربيع فيظل مستيقظاً  
متبساً سائراً حتى يصير صيفاً مذهب الملابس معطر الاذيان .  
الانسانية امرأة يلذ لها البكاء والتحجب على ابطال الاجيال . ولو كانت الانسانية  
رجلاً لفرحت بمجدهم وعظمتهم .

الانسانية طفلة تنف متأوهة بجانب الطائر الذريح ولكنها تخشى الوقوف امام  
العاصفة الهائلة التي تهصر بعيرها الانصان اليابسة وتحرف بعزمها الاقدار المنتنة .  
الانسانية ترى يسوع الناصري مولوداً كالفقراء عائشاً كالساكنين مهاناً كالضعفاء  
مصلوباً كالجرمين قتيكاه وتزنيه وتدبه وهذا كل ما فعله لتكريمه .

منذ تسعة عشر جيلاً والبشر يعبدون الضعف بشخص يسوع ، ويسوع كان  
قوياً ولكنهم لا يفهمون معنى القوة الحقيقية .  
ماعاش يسوع مكيناً خائفاً ولم يمت شاكياً متوجعاً ، بل عاش نائراً وصلب  
متمرداً ومات جباراً .  
لم يكن يسوع طائراً مكبوت الخناجين بل كان غابغة هو جاء تكسر بهوبها جميع  
الاجنحة المعوجة .

لم يجيء يسوع من وراء الشفق الازرق ليجعل الالم رمزاً للحياة بل جاء  
ليجعل الحياة رمزاً للحق والحرية .

لم ينحف يسوع مضطهديه ولم ينحس اعداءه ولم يتوجع امام قاتليه بل كان حراً  
على رؤوس الشهداء ، جريئاً امام الظلم والاستبداد ، يرى البثور الكريهة فيضعها ،  
ويسمع الشر متكلاً فيخرسه ، ويأتي بالرياء فيصرعه .

لم يهبط يسوع من دائرة التور الاعلى ليهدم المنازل ويبني من حجارها الاديرة  
والصوامع ، ويستهووي الرجال الاشداء ليقودهم قسوساً ورهباناً بل جاء ليث في فضاء  
هذا العالم روحاً جديدة قوية تقوّض قوائم العروش المرفوعة على الجماجم وتهدم  
القصور المتعالية فوق القبور وتسحق الاصنام المنصوبة على اجساد الضعفاء المساكين .  
لم يجيء يسوع ليعلم الناس بناء الكنائس الشاهقة والمعابد الضخمة في جوار

الاكواخ الحفيرة والمنازل الباردة المظلمة ، بل جاء ليجعل قلب الانسان هيكلاً ونفسه مذبحاً وعقابه كاهناً .

هذا ما صنعه يسوع الناصري وهذه هي المبادئ التي صلب لاجلها مختاراً ولو عفل البشر لوقفوا اليوم فرحين منهلين منشدين اهازيح الغلبة والاتصار .

\* \* \*

وانت ايها الحيار المصلوب ، الناظر من اعالي الجلجلة الى مواكب الاجيال ، السامع ضجيج الامم ، الفاعم احلام الابدية ، انت على خشبة الصليب المضرجة بالدماء اكثر جلالاً ومهابة من الف ملك على الف عرش في الف مملكة . بل انت بين الترع والموت اشد هولاً وبطشاً من الف قائد في الف جيش في الف معركة . انت بكابتك اشد فرحاً من الربيع بأزهاره ، انت باوجاعك اهدأ بالاً من الملائكة بساؤها ، وانت بين الجلادين اكثر حرية من نور الشمس .

ان اكليل الشوك على رأسك هو اجل واجل من تاج بهرام ، والمسار في كفك اسمى وانخم من صولجان المشتري ، وقطرات الدماء على قدميك اسنى لمعاناً من قلائد عشاروت ، فسامح هؤلاء الضعفاء الذين ينوحون عليك لانهم لا يدرون كيف ينوحون على قلوبهم ، وانقر لهم لانهم لا يعلمون بانك صرعت الموت بالموت ووهبت الحياة لمن في القبور .

جيران خليل جبران

### اقوال لبعض المشاهير

لقد خاب ظني في الرئيس ولسن ولكني اعتقد أنه كان حسن النية

ولي عهد ألمانيا السابق

ان نظام الاجتماع الذي اقتضى السنوات الطوال لتشييده والذي قد دكته الحرب الى اساساته لا يمكن تجديد بنائه في اسبوع واحد

المستر لنستغ

حكم الرئيس ولسن قائم على مزيج من مبادئ الثورة الفرنسية ومن روح الاستبداد الشرقي

أحد أعضاء مجلس الشيوخ الأميركي

سوف يقود الله زوجي الامبراطور خارج وادي الظلمة

امبراطورة ألمانيا

تتطلب بلادنا من كل واحد من ابنائها استعمال أقصى قدر مستطاع من التدبير والاقتصاد

الملك جورج